

تحريم تجسيد الأنبياء والرسول على الشاشات يغلق بابا للانفتاح والتسامح

تعبير المسلمين عن تاريخ دينهم وقصصه بطرق حديثة يقابل بالتضييق



لعبة الإخفاء لا تناسب عصر الأضواء الساطعة

تناقشت كناقدة فنية مع رجال الدين وسألتهم عن رأيهم في ما كان عليه ظهور عمر بن الخطاب في مسلسل يحمل اسمه، فاجابوا بأنه قدم صورة جيدة وحسنة ولم ير أحدهم ضررا على صورة الإسلام.

ضد التسامح والانفتاح

تحتوي القضية على مجموعة من التحديات التي تواجه تجسيد الرموز الدينية، تكمن في أهمية التوافق مع وقائع التاريخ وعدم تقديم تصورات وطروحات لا تتفق مع قواعد المنطق.



وضربت أبو الضياء مثلا ببعض الأخطاء الواردة في مسلسل "عمر" مثل إظهاره يقرأ آيات مدنية من القرآن الكريم وهو في مكة، قائلة إن "هناك بعض المرويات تحتاج إلى تمحيص ومراجعات مع التأكيد على أن ما يهم الحفاظ عليه هو الخطوط العريضة للقصص النبوي وسير الصحابة وفتح مجال للتخييل الدرامي في ما يخص التفاصيل الصغيرة".

وهناك مشكلة تخص حجم التمويل اللازم، فالدراما الخاصة بالأنبياء والصحابة تستلزم ميزانيات ضخمة قد تعجز عنها شركات الإنتاج، ما يدفع إلى ضرورة عمل تحالفات فنية لتوفير الميزانيات اللازمة مثل هذه الأعمال.

وبعيدا عن الجوانب الفنية يظل الجدل المثار حول قضية جواز تجسيد الرسول والأنبياء والصحابة والأئمة المعصومين في نظر أتباعهم، ذا صلة بنشر ثقافة الاعتدال والتسامح، ومواجهة التفسيرات المتشددة للنصوص الدينية التي تحولت إلى عبء على الدين على العكس مما يعتقد أصحابها الذين يقدمون أنفسهم كحراس للعقيدة مؤمنون على نشرها وترغب الناس فيها بينما هم ينفرون الأجيال الصاعدة منها عبر إصرارهم على مواجهة التطور والتجديد اللذين لا يعنيان بالضرورة التسويه والتحرير كما يدعي هؤلاء.

الأنبياء والصحابة في الأعمال الدرامية والبودكاست لأن الأخير يعتمد على الصوت فقط تحت مجموعة من المعطيات أولها أن الرسل والصحابة كانوا بشرًا وامتدت حياتهم ضمن صراعات متعددة مع مجتمعاتهم ومثلوا لحظات مهمة وفارقة في تطور الحياة البشرية ومنظومة الأخلاق التي تحكمتنا، لذلك فإنه من الأهمية بمكان أن يتعرف عليهم الجميع، والصورة والاستماع يمثلان أكبر قدر من التلقي لدى الجماهير.

ولفتت فؤاد إلى أنه في ما يتعلق بتجسيد الأنبياء يمكن الاضطرار على من يقوم بتقديم شخصية النبي أن يوقع على عقد بأنه لن يمثل شخصية أخرى كما فعلت الكنيسة في فيلم "الام المسيح".

وأوضحت الناقدة الفنية حنان أبو الضياء لـ "العرب"، أنها مع تقديم الرموز الدينية فنيا لأن العالم العربي لا يمكن أن ينزل عما يحدث حوله، وثمة ضرورة لتقديم القراءة العربية لتاريخ الأنبياء والرسول في الفن من خلال اشتراطات تحافظ على تقدير واحترام كافة الرموز الدينية.

ويلجأ بعض المخرجين إلى إظهار طاقة نور على وجه من يقدم شخصية أي من الأنبياء أو الصحابة غير أن ذلك صار مناقضا للواقعية.

وأكدت أبو الضياء أن هناك أجيالا جديدة من الشباب قد لا تقبل القراءة أو التعرف على قصص الأنبياء عبر الأساليب التقليدية المعتادة، وأن هؤلاء يجلسون لأوقات طويلة أمام الشاشات للتعرف على كل شيء حولهم، ولا يمكن الوصول إلى أذهانهم وإضاءة عقمة المعرفة لدى بعضهم إلا من خلال الفن.

وأجاز الشيخ مصطفى المراغي شيخ الأزهر الأسبق في عام 1938 فيلما يقدم حياة السيد المسيح كتبه أحد القساوسة وراجعه طه حسين وأخرجه محمد عبد الجواد، وكان يقوم بدور المسيح فيه الممثل المصري أحمد علام.

وقال البعض من رجال الدين الذين شاهدوا مسلسل النبي يوسف إنه رغم اتفاقهم مع فكرة تحريم تجسيد الأنبياء لكن العمل لم يحمل إساءة له. وكشفت أبو الضياء أنها

العقاد، كانت لها ردود أفعال إيجابية على صورة الإسلام في العالم. وقالت لـ "العرب"، إن هذا الفيلم الذي جسّد فيه الفنان عبدالله غيث شخصية حمزة بن عبدالمطلب عم الرسول (ص) دفع الكثير من الباحثين إلى المعرفة، والذين شاهدوا الفيلم بدأوا يقرأون عن الإسلام لمعرفة قيمه، مضيفة "أصبحنا الاختياري".

وقد يدع ذلك رجال الدين إلى أن يعيدوا النظر في تحريمهم لتجسيد

العلماء ينشر سير الأنبياء والمعصومين من الأولياء، شريطة أن تقوم بذلك مؤسسات لها دراية بأداب هذا الفن ومقصد العمل الدرامي.

وأشار نصار إلى أن التجربة أثبتت خطأ توقعات الرافضين لتمثيل القصص القرآني أو محاكاة الأنبياء والصحابة في الأعمال التمثيلية، وليس أدل على ذلك من الأثر الطيب للأعمال المصورة والمثلة في البرامج التعليمية والتربوية وسهولة التواصل بين المرسل والمتلقي لاستيعاب الأخير ما تحويه القصص القرآنية والأحداث التاريخية ذات الصلة بالاديان من فضائل.

شيخ أزهرى كان قد أجاز منذ أربعينات القرن الماضي إنجاز فيلم عن المسيح كتبه أحد القساوسة وراجعه طه حسين وأخرجه محمد عبد الجواد



ومع ذلك هناك آراء لعلماء دين مستنيرين مثل الشيخ مصطفى عبدالرزاق وعبدالمعال الصعيدي وبعض تلاميذ محمد عبده، ذهبت إلى إمكانية تشخيص الأنبياء والصحابة، وأوضح نصار أن هؤلاء يرون أن جميع الفنون مباحة ولا حجة للمنع أو الكراهة أو التحريم إلا بعلبة عقلية، وأن نص صريح من الثوابت النقلية، وذهبوا إلى أنه لا غضاضة في أن يقوم أحد الممثلين بتشخيص شخصية واحدة من هؤلاء، بل إن تمثيل القصص له وقع جيد وفائدة كبيرة لترسيخ ما نريده من فضائل.

وأكد أن طروحات مثل هؤلاء العلماء تدفع إلى ضرورة الاجتهاد وإعادة طرح الأمر بحرية وتحكيم حقيقي للعقل، فالخوف من الخلط بين شخصية الممثل والدور الذي يؤديه يتوقف على وعي الجمهور من جهة، وقدرة الممثل على الإقناع من جهة أخرى.

وقال الشيخ عبدالمتعال الصعيدي في كتابه المعنون "في ميدان التجديد" عن ذلك "لا شك أن التمثيليات التي تصاغ فيها قصص الأنبياء، عليهم السلام، سيراعي فيها ما لهم من كرم منزلة وما لهم من القداسة والعصمة والطهارة، وسيكون الغرض منها إظهار ما كان لهم من أغراض شريفة في قصصهم وما كان لهم من مقاصد نبيلة في رسالاتهم، وإذا قام شيء مع هذا يخل بقداستهم، وإذا قام شخص في تمثيله مقام نبي فإنه يقوم به صورة فقط، وللنبي عليه السلام مقامه الكريم، ولا يمكن أن يتوهم شخص أنه حل في التمثيلية مقامه في كل شيء حتى يكون فيها امتهان له".

أما الفقه الشيعي فلا يرى تحريما أو كراهة للتمثيل بل يجد ترحابا من شأنه أن يذهب كثيرون إلى ضرورة أن يبدأ الأمر أولا بتجسيد الصحابة باعتبارهم بشرًا أقل تقدسا من الأنبياء، ثم يتم بعد ذلك تقديم دراما وسينما الأنبياء وفق اشتراطات معينة تضمن عدم الإساءة لأي منهم والحفاظ على سمات الوقار المقترض.

ونكرت أماني فؤاد، أستاذة النقد الأدبي باكااديمية الفنون المصرية، أن بعض الأعمال الفنية النادرة التي جسدت بعض الصحابة مثل فيلم "الرسالة" للمخرج مصطفى

وذهب كثيرون إلى ضرورة أن يبدأ الأمر أولا بتجسيد الصحابة باعتبارهم بشرًا أقل تقدسا من الأنبياء، ثم يتم بعد ذلك تقديم دراما وسينما الأنبياء وفق اشتراطات معينة تضمن عدم الإساءة لأي منهم والحفاظ على سمات الوقار المقترض.

ونكرت أماني فؤاد، أستاذة النقد الأدبي باكااديمية الفنون المصرية، أن بعض الأعمال الفنية النادرة التي جسدت بعض الصحابة مثل فيلم "الرسالة" للمخرج مصطفى

قضية تجسيد الأنبياء والصحابة وظهورهم بالإنتاجات الفنية مسألة قديمة حديثة تشهد منعطفات واختلافات، إلا أن التطور الكبير الذي شهده الفن وانتشار تطبيقات المنصات التلفزيونية العابرة للحدود والحواسز واللغات، يعيدان فتح القضية مرة أخرى في ظل تسامح المجتمعات الغربية مع تجسيد الأنبياء ورموز التاريخ.

ورغم ذلك الموقف القطعي المتكرر فهناك من يرون أنه يمثل وجهة نظر غير ملزمة تستند إلى مبررات وأهية يمكن تجاوزها تماما، ما يعني أن الأمر ليس حراما في حد ذاته إنما هو حرام لأنه يؤدي، وفق ظن البعض، إلى تصورات مناقضة للدين مثل التشكيك في الأنبياء أو السخرية من أي من أفعالهم. وقال عصمت نصار، أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة القاهرة فرع الخرطوم لـ "العرب"، إن هناك حاجة ماسة لإعمال العقل والاجتهاد في الأمر بما يفتح مجالات استفادة حقيقية لصورة الإسلم والمسلمين في العقلية العالمية من خلال الفن.

وأثيرت هذه القضية مبكرا منذ النصف الأول من القرن العشرين، عندما فكر الفنان المصري يوسف وهبي في تقديم شخصية النبي محمد على خشبة المسرح، لكن مؤسسة الأزهر اعترضت وحرمت تجسيد النبي تماما، ثم توالى بعد ذلك فتاوى التحريم لتشمل باقي الأنبياء والصحابة، وقصر البعض الأمر على الصحابة المبشرين بالجنة ورأى آخرون ضرورة أن يشمل التجسيد الفني كافة الصحابة.

ومع ذلك هناك آراء لعلماء دين مستنيرين مثل الشيخ مصطفى عبدالرزاق وعبدالمعال الصعيدي وبعض تلاميذ محمد عبده، ذهبت إلى إمكانية تشخيص الأنبياء والصحابة، وأوضح نصار أن هؤلاء يرون أن جميع الفنون مباحة ولا حجة للمنع أو الكراهة أو التحريم إلا بعلبة عقلية، وأن نص صريح من الثوابت النقلية، وذهبوا إلى أنه لا غضاضة في أن يقوم أحد الممثلين بتشخيص شخصية واحدة من هؤلاء، بل إن تمثيل القصص له وقع جيد وفائدة كبيرة لترسيخ ما نريده من فضائل.

وأكد أن طروحات مثل هؤلاء العلماء تدفع إلى ضرورة الاجتهاد وإعادة طرح الأمر بحرية وتحكيم حقيقي للعقل، فالخوف من الخلط بين شخصية الممثل والدور الذي يؤديه يتوقف على وعي الجمهور من جهة، وقدرة الممثل على الإقناع من جهة أخرى.

وقال الشيخ عبدالمتعال الصعيدي في كتابه المعنون "في ميدان التجديد" عن ذلك "لا شك أن التمثيليات التي تصاغ فيها قصص الأنبياء، عليهم السلام، سيراعي فيها ما لهم من كرم منزلة وما لهم من القداسة والعصمة والطهارة، وسيكون الغرض منها إظهار ما كان لهم من أغراض شريفة في قصصهم وما كان لهم من مقاصد نبيلة في رسالاتهم، وإذا قام شيء مع هذا يخل بقداستهم، وإذا قام شخص في تمثيله مقام نبي فإنه يقوم به صورة فقط، وللنبي عليه السلام مقامه الكريم، ولا يمكن أن يتوهم شخص أنه حل في التمثيلية مقامه في كل شيء حتى يكون فيها امتهان له".

أما الفقه الشيعي فلا يرى تحريما أو كراهة للتمثيل بل يجد ترحابا من شأنه أن يذهب كثيرون إلى ضرورة أن يبدأ الأمر أولا بتجسيد الصحابة باعتبارهم بشرًا أقل تقدسا من الأنبياء، ثم يتم بعد ذلك تقديم دراما وسينما الأنبياء وفق اشتراطات معينة تضمن عدم الإساءة لأي منهم والحفاظ على سمات الوقار المقترض.

ونكرت أماني فؤاد، أستاذة النقد الأدبي باكااديمية الفنون المصرية، أن بعض الأعمال الفنية النادرة التي جسدت بعض الصحابة مثل فيلم "الرسالة" للمخرج مصطفى



أي إساءة سببها تجسيد المسيح للمسيحية؟



يدفع التطور الفني والتكنولوجي بعض المتابعين والمعتدين بالفن في العالم العربي إلى الدعوة لتشجيع اجتهادات دينية تُعيد بحث المسألة استنادا إلى مبدأ المنافع المرجوة وانطلاقا من فكرة عدم وجود نص قاطع يحرم تجسيد الأنبياء والصحابة على الشاشات. كما أن قيام بعض الفضائيات وشركات الإنتاج العربية خلال السنوات الأخيرة بإنتاج مسلسلات تلفزيونية عن بعض الصحابة، وتفاعل الجمهور معها باعتبارها أمرا غير جازح للعقيدة الدينية يُهدد الطريق لتقديم مسلسلات وأفلام يظهر فيها باقي الصحابة بلا استثناء، تم الأنبياء أنفسهم.

وإذا كانت المؤسسات الدينية في العالم العربي مثل مؤسسة الأزهر الشريف في القاهرة والمجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي في مكة، قد حرمتا تجسيد الأنبياء والصحابة تحريما قطعيا، فإن ذلك ينطلق من تصور أن ظهور الأنبياء والصحابة مدعاة إلى انتقاصهم والحط من قدرهم والسخرية منهم.

ووفقا لفتوى للمجمع الفقهي في مكة، فإنه "لَمْ يُرَ لِمَنْ يُدْعَى أَنْ فِي تِلْكَ الْمَسَلِّاتِ التَّمْثِيلِيَّةِ وَالْأَفْلَامِ السِّيْنِمَائِيَّةِ يَتِمُّ التَّعَرُّفُ عَلَى الرَّسْلِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَسِرِّيهِمْ، لِأَنَّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَا يَفِي بِذَلِكَ الْغُرْضِ".

الاجتهاد متاح لمن يريده

ترير ذلك يرجع إلى أن الأنبياء والرسول مفضلون على باقي الناس، وهذا التفضيل يقتضي التوقير والاحترام، وتمثيل الأنبياء يفتح أبواب التشكيك في أحوالهم والكتب عليهم، فلا يمكن أن يتطابق ما يقدمه الممثلون حال الأنبياء في أحوالهم وتصرفاتهم، وقد يؤدي هؤلاء الممثلون ادوارا غير مناسبة، سابقا أو لاحقا، فتنتفع في ذهن المتلقي تصورات ذهنية مناقضة للنبي وفق الشخصيات الأخرى التي قدمها الممثل.

قضية تجسيد الرسل والأنبياء والصحابة مرتبطة بنشر ثقافة الاعتدال والتسامح ومواجهة نوازع الغلو والتشدد

وتعتمد الفتوى على أن قواعد الشريعة، تشير إلى أن المصلحة المتوخمة لا تعتبر، والمصلحة إذا عارضتها مفسدة مساوية لها لا تعتبر، لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، فكيف إذا كانت المفسدة أعظم من المصلحة وأرجح كما هو الشأن في تمثيل الأنبياء والصحابة؟